

## حديث : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه

11:30:22 2005-09-19 | الشبكة الإسلامية



### متن الحديث

عن **أبي هريرة** رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه ) رواه البخاري ومسلم .

### الشرح

نشأ العرب في جاهليتهم على بعض القيم الرفيعة ، والخصال الحميدة ، وسادت بينهم حتى صارت جزءاً لا يتجزأ من شخصيتهم ، يفتخرون بها على من سواهم ، ويسطرون مآثرها في أشعارهم .

وتلك الأخلاق العظيمة التي امتازوا بها ، لم تأت من فراغ ، ولكنها نتاج طبيعي من تأثر أسلافهم بدعوة نبي الله **إبراهيم** عليه السلام ، حتى اعتادوا عليها ، وتمسكوا بها عند معاملتهم للآخرين ، ثم ما لبث فجر الإسلام أن بزغ ، فجاءت تعاليمه لترسي دعائم تلك الأخلاق ، وتعمق جذورها في نفوس المؤمنين ، والتي كان منها : الحث على إكرام الضيف ، والحفاوة به .

إن إكرام الضيف يمثل سمة بارزة للسمو الأخلاقي الذي تدعو إليه تعاليم الشريعة ، والتخلق بها يعد مظهراً من مظاهر تمام الإيمان وكماله ، ويكفي دلالة على ذلك ، قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي بين أيدينا : ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ) .

وليس المقصود من الحديث نفي مطلق الإيمان بمن لم يأت بهذا الخلق - أو غيرها من الخصال المذكورة - ، إنما أريد به المبالغة في الحث على المسارعة في الامتثال لهذه الأوامر ، كما يقول القائل : " إن كنت ابني فأطعني " ، ويعنون بذلك تشجيع الولد على طاعة أبيه ، فهو إذا : تشجيع على التمسك بتلك الفضائل .

وقد وعى المؤمنون في الصدر الأول ذلك جيداً ، وفهموا المراد منه ، فصار للضيافة شأن عظيم في حياتهم ، فلا عجب أن تنقل لنا كتب السير في هذا المضمار من الأمثلة أروعها ، ومن المواقف أسماها ، يأتي في مقدمتها ما رواه الإمام **مسلم** رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه ضيف ، فلم يجد ما يضيفه به ، فقال لأصحابه : ( من يضيف هذا الليلة رحمه الله ) فقام رجل من الأنصار فقال : " أنا يا رسول الله " ، فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته : " هل عندك شيء ؟ " قالت : " لا ، إلا قوت صبياني " ، قال : " فعليهم بشيء " ، فإذا دخل ضيفنا فأطفيء السراج ، وأريه أنا نأكل ، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه " ، قال : ففقدوا وأكل الضيف ، فلما أصبح ، غدا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ( قد

**عجب الله من صنيعكما بضيئكما الليلة )** ، إن هذا الموقف العظيم ، وهذا التفاني في إسداء الكرم للضيف ، ثمرة من ثمار إيمانهم العميق بثواب الله وأجره .

وبعد أن عرفنا مكانة الضيافة في منظومة الأخلاق ، وقدرها عند الله ، فإنه يجدر بنا أن نقف وقفة سريعة مع بعض الآداب التي ينبغي مراعاتها في الضيافة ، فمن ذلك : أن يدعو الإنسان لضيافته الأتقياء والصالحين ، ويتجنب دعوة الفسقة من الناس ، عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم : **( ولا يأكل طعامك إلا تقي )** ، كذلك فإنه يدعو لضيافته دون تمييز بين الفقير والغني ، فإن هذا من التواضع الذي ينبغي أن يتحلّى به المؤمن ، وقد جاء في الحديث : **( شر الطعام طعام الوليمة ، يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء )** متفق عليه ، فإذا حضر ضيوفه ، يستقبلهم عند بابه ، ويبشّر عند قدومهم ، ويطيّب في حديثه معهم ، وقد سنل الأوزاعي رحمه الله : " ما إكرام الضيف ؟ " ، قال : " طلاقة الوجه ، وطيب الكلام " ، وقال الشاعر :

**وإني لطلق الوجه للمبتغي القرى      وإن فنائي للقرى لرحيب**  
**أضاحك ضيفي عند إنزال رحله      فيخصب عندي والمحل جديب**  
**وما الخصب للأضياف أن يُكثر القرى      ولكنما وجه الكريم خصيب**

فإذا حضر وقت الطعام ، فإنه يأتيهم بما تسير له ، ولا ينبغي له أن يتكلف ما لا يستطيع ؛ فإن هذا مخالف للهدى النبوي ، وفيه أذى وإحراج للضيف من ناحية أخرى ، ومن إكرام الضيف : أن يخرج معه إلى باب الدار عند توديعه ؛ فإن ذلك يشعره بمدى الحفاوة به ، والفرحة بحصول زيارته .

ولئن كان الإسلام قد أولى العناية بحق الضيف على بعده وقلة حضوره ، فإن اهتمامه بالجار من باب أولى ، وحسبنا دلالة على ذلك : أن الله تعالى قرن الأمر بالإحسان إليه مع الأمر بعبادته سبحانه ، قال تعالى : **{ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب } ( النساء : 36 )** ، وأكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحق في قوله : **( ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه )** .

ومن هنا كان إيذاء الجار من كبائر الذنوب عند الله عزوجل ، بل هو منافٍ لكمال الإيمان ، وقد روى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **( والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن )** ، قيل : ومن يا رسول الله ؟ ، قال : **( الذي لا يأمن جاره بوائقه )** ، أي لا يسلم من شره وأذاه .

ولاشك أن الإحسان إلى الجار قرينة عظيمة إلى الله تعالى ، ومن هنا جعل الإسلام له حقوقاً عديدة ، من جملة : أن يمدّ جسور المحبة بينه وبين جيرانه ، وأن يأتي كل ما من شأنه أن يوطّد هذه العلاقة ، ويزيدها قوة ، فيتعهّده دائماً بالزيارة والسؤال عن أحواله ، ويمدّ له يد العون في كل ما يحتاجه ، ويقف معه في الشدائد والنوائب التي قد تصيبه ، ويشاركه في أفراحه التي تسعده .

ومن حقوقه أيضاً : أن يستر ما يظهر له من عيوبه ، ويحفظ عينه من النظر في عوراته ، ويتواصل معه بالهدايا بين الحين والآخر ؛ فإن ذلك يزيد الألفة ، ويقوي المحبة ، مهما كانت الهدية قليلة القدر ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **( لا تحقرن جارة جارتها ، ولو فرسن شاة )** رواه البخاري ومسلم ، والفرسن : هو عظم قليل اللحم .

إن الإحسان إلى الجار ، والكرم مع الضيف ، يعان من مظاهر التكافل الاجتماعي الذي يدعو إليه الإسلام ، هذا وقد ذكر الحديث شعبة أخرى من شعب الإيمان ، وهي المتمثلة في قوله صلى الله عليه وسلم : **( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً أو ليصمت )** ففيه دعوة إلى الكلمة الطيبة من ناحية ، ومن ناحية أخرى تحذير من إطلاق اللسان فيما لا يرضي الله تبارك وتعالى .

وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على بيان خطر هذه الجارحة ، فكم من كلمة أودت بصاحبها في نار جهنم ، وكم من كلمة كانت سبباً لدخول الجنة ، وقد ثبت في البخاري ومسلم

**أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب ) .**

وهكذا أيها القارئ الكريم ، يتبين لنا مما سبق بعضا من الجوانب المشرقة والأخلاق الرفيعة ، التي يدعو إليها الإسلام ، ويحث على التمسك بها ، فما أجمل أن نتخلق بها ، ونتخذها نبراسا ينير لنا الطريق .

جميع حقوق النشر محفوظة © Islamweb.net هـ 1431